## من أوراق الدكتور طه حسين

# تيسير النحو العربي وإصلاح الكتابة العربية

بقلم : د. محمد حسن الزيات

**بين أوراق المرحوم العميد الدكتور طه حسين صورة خطاب غير مؤرخ وجهه الى وزير التربية والتعليم او وزير المعارف العمومية في ذلك الوقت عن تيسير النحو العربي واصلاح الكتابة العربية يقول فيه ( ان لهاتين المسالتين المشكلتين خطرا عظيما هو اظهر من ان يحتاج الى وصف او بيان ) وقد كان هذان الموضوعان يشغلان بال طه حسين واهل جيله ، واتجه بعضهم مثل المرحوم عبد العزيز باشا فهمي - الى التفكير في استعمال الحروف اللاتينية فانكر طه حسين ذلك عليه وخاصمه فيه اشد الانكار واعنف الخصام على ان هاتين المسالتين المشكلتين لاتزالان اليوم بغير حل ، ولاتزالان تشغلان بال الكافة من خاصة وعامة في مصر وفي كل البلاد العربية فلعل نشر هذا الخطاب اليوم ان يساهم في الوصول الى حل لهاتين المسالتين المشكلتين يقول طه حسين في خطابه . ان الحياة الصحيحة للغة العربية رهينة به .**

حضرة صاحب المعالى وزير المعارف العمومية

تفضلت فتحدثت الىّ فى مسالتين لهما فى حياتنا الفعلية أبعد الاثر وابلغه إحداهما : تتصل بتيسير النحو العربى وجعله ملائما لطبيعة العصر الذى نعيش فيه موافقا لمزاج العقل الحديث ، والاخرى تتصل باصلاح الكتابة العربية بحيث تعصم القارئين من الخطأ وتمكنهم من ان يقرأوا الكلام كما اراد صاحبه ان يكتبه وكما يحب صاحبه ان يقراه الناس . وما اشك فى ان لهاتين المسالتين خطرا عظيما هو اظهر من ان يحتاج الى وصف

طه حسين

او بيان وحسبى ان اقول ان الحياة الصحيحة للغة العربية رهينة بحل هاتين المسألتين المشكلتين وانا لنغالط انفسنا اشد المغالطة ونخادعها اشنع الخداع حين نظن اننا نعلم تلاميذنا وطلابنا اللغة العربية ونلقنهم فيها ونبصرهم بها ونمكنهم من ان يعبروا بها تعبيرا صحيحا بما يريدون او يفهموها فهما صحيحا اذا قراوها فى الكتب والصحف او سمعوها من الخطباء والمحاضرين على نحو ما يعبر الناس بلغاتهم وعلى نحو مايفهم الناس لغاتهم .

فنحن فى حقيقة الامر لانكاد نبلغ من هذا شيئا وقد اثبتت التجارب التى لاتقبل سكا ولا تتعرض لريب ان شبابنا بعيدون كل البعد عن ان يعرفوا لغتهم معرفة متوسطة فضلا عن ان يحسنوها ويتصرفوا فيها تصرف المالك لها العالم بها المتقن لدقائقها واسرارها وشبابنا مع ذلك ينفقون فى درس اللغة العربية وينفق معهم اساتذتهم وقتا طويلا ويحتملون فى ذلك ويحتمل معهم اساتذتهم جهدا ثقيلا فهم يدرسونها اربعة اعوام فى التعليم الابتدائى وخمسة اعوام فى التعليم الثانوى ، ثم يصلون إلى الجامعة او المدارس العالية وهم عاجزون اشد العجز من ان يصوروا اراءهم وخواطرهم تصويرا صحيحا بالكتابة او الخطابة او الحديث فضلا عن ان يصوروا هذه الآراء والخواطر فى الشعر الرائع او النثر الفنى الجميل . وقد اعترفت وزارة المعارف نفسها بهذه الحقيقة بعد ان اقنعتها التجربة بها ودلتها الحوادث عليها فسألت الى الذين يعنون بتعليم اللغة العربية حديثا تسألهم فيه عن اسباب هذا العجز الظاهر وعن الوسائل التى يمكن ان تتخذ لاتقانه وتيسرة الشباب وقد تلقيت سؤال الوزارة هذا منذ اشهر فيمن تلقاه وقد رد عليه كثير من الناس فى احاديث خاصة وجهوها إلى الوزارة وفى مقالات وفصول نشرتها الصحف والمجلات ولكنى اثرت الصمت واخترت ان اقرا سؤال الوزارة ثم لاجيب عليه لانى كنت مستيئسا من فائدة هذه الاجابة واثقا بانها لن تغنى شيئا مستيقنا انها ستصل الى الوزارة فيما يصل اليها من الاجابات فتقرا اولا تقرا ثم تحفظ بعد ذلك فى مكان امين او تسلم الى الاهمال الذى ينتهى بها الى الضياع .

وكنت محققا فى نفسى ان الوزارة لن تاخذ من الوسائل التى يمكن ان اقترحها عليها بشىء لان الاخذ بهذه الوسائل كلها او بعضها يحتاج إلى جراة قد لاتقدم عليها البيئات الرسمية إلا بعد تردد طويل ولعل هذا التردد ان ينتهى بها إلى الاحجام والصبر على المكروه .

وكذلك رسمت لنفسى منذ عهد غير قصير خطة الاعراض عن السعى عند الوزارة فى بعض وجوه الاصلاح التى تحتاج الى الحزم والعزم والى الجراءة والاقدام وإلى مواجهة بعض المصاعب التى تنشا عن المحافظة والغلو فيها . واثرت ان اترك امور هذا الاصلاح تجرى مع طبيعة التطور وتعرض نفسها على الأجيال شيئا فشيئا وماكنت لاخرج عن هذه الخطة التى اخذت نفسى بها منذ حين لولا انى وجدت من حديث معاليكم ومن رغبتكم الملحة فى اصلاح امر اللغة العربية ما رد بعض الامل وشجعنى على ان اعود إلى التفكير فى اشياء قد تركت التفكير فيها منذ زمن بعيد . وانى لسعيد كل السعادة مغتبط اشد الاغتباط حين الاحظ ان الآراء التى سمعتها من معاليكم فى اصلاح النحو والكتابة مطابقة كل المطابقة لما كنت اطمع فيه واطمح اليه منذ اعوام طويلة فليكن اقبال معاليكم على هذا الاصلاح فالا حسنا ومقدمة سعيدة لخطوات موفقة ان شاء الله .

- ٢ -

ولقد لاحظت منذ اعوام فى تقرير رفعته الى احد وزراء المعارف السابقين ان النحو الذى نعلمه لتلاميذنا وطلابنا فى القرن الرابع عشر للهجرة هو بعينه النحو الذى كان يعلم فى البصرة والكوفة وغيرهما من مراكز الثقافة الاسلامية فى القرن الثانى والثالث للهجرة اى اننا نعلم النحو فى هذه الايام على الطريقة التى كان يعلم عليها منذ اكثر من الف سنة .. ولاحظت ان العلوم كلها قد تطورت وتغيرت اصولها وقواعدها ومناهج تعليمها والبحث عنها إلا علوم اللغة العربية فإنها ظلت كما هى لم تتطور ولم تتغير إلا ان يكون ذلك من طريق الاختصار الذى لايذلل صعبا ولعله يصعب السهل ويدفع الواضح إلى الغموض وليست العلوم وحدها هى التى تطورت او بعبارة اصح لم تتطور العلوم إلا لان العقل نفسه قد تطور وتغير فانتج علما مخالفا لما كان نتيجة من قبل وعجز عن إصاغة العلم القديم الذى كان يصيغه العقل القديم .. وما من شك فى اننا لانستطيع التفكير فى ان نعلم الطبيعة والطب على نحو ما كان يعلمهما الرازى وابن سينا او ارسطاطاليس وجالينوس ولكننا نطمئن الى تعليم النحو والصرف بنفس الطريقة التى كان يعلمهما بها الكسائى وسيبويه . ومصدر هذا التناقض الغريب خطا فى التقدير تورط الناس فيه منذ زمن بعيد ثم استقر فى نفوسهم وامتزج بعقائدهم واصبح تحويلهم عنه شيئا عسيرا ، فهم قد ظنوا ان النحو هو اللغة وان تغيير قواعده واصوله تغيير للغة وافساد لها ومن حيث ان اللغة العربية هى لغة القران الكريم والسنة المطهرة فينبغى ان ترتفع عن التغيير والتبديل وان يبقى التصرف

فيها على اى وجه من الوجوه يعرضها للتغير أو التطور واغرب من هذا ان اللغة قد تغيرت وتطورت غير مرة فى تاريخها الطويل دون ان يمس ذلك لغة القرآن والحديث او يؤثر فيها تاثيرا قليلا وكثيرا ولكن الناس لم يفطنوا لهذا او لم يحفلوا به وظلوا يؤمنون بان النحو هو اللغة وبان تغيير قواعده واصوله شر عظيم . ومع ذلك فليس النحو إلا قواعد يقصد بها إلى ضبط استعمال اللغة على اقرب وجه وايسره وقد ابتكر النحو ابتكارا فى اول الحضارة الاسلامية واستحدثت قواعده بعد ان لم تكن واختلفت فى تصويرها وضبطها وعرضها اراء الائمة و العلماء فلم ينشأ عن هذا الاختلاف افساد اللغة ولم تتعرض من اجله لخطر جليل او ضئيل واى خطر تتعرض له اللغة حين يختلف الكوفيون والبصريون مثلا فى ان المبتدأ مرفوع بالابتداء او مرفوع بالخبر . وفى ان الاسماء الستة ترفع بالواو وتنصب بالالف وتجر بالياء او ترفع بضمة قبل الواو وتنصب بفتحة قبل الالف وتجر بكسرة قبل الياء او تعرب بالحركة والحرف جميعا او تعرب بحركة مقدرة على هذا الحرف سيظل المبتدأ مرفوعا مهما يكن رافعه وستظل الاسماء الستة معربة على هذا النحو المعروف مهما تكن علامة اعرابها وعلى هذا النحو كل اختلاف العلماء التى تشبه هذين المثالين لم تغير اللغة ولم تعرضها لسوء . فلو اننا احدثنا مذهبا جديدا فى ضبط قواعد النحو فقلنا ان المبتدأ مرفوع وسكتنا عن رافعه مثلا لما كان لهذا المذهب الجديد اثر فى اللغة من حيث هى لان المبتدأ سيظل مرفوعا كما كان فتستقيم اللغة كما استقامت دائما

ولكن هذا المذهب الجديد قد يريح التلميذ والطالب من عناء لاحاجة اليه ولا فائدة فيه هو عناء البحث عن هذا العامل المعنوى الذى كان يرفع المبتدأ عند البصريين وهو الابتداء او عناء الفهم لهذا العبث الطريف الذى كان يجعل المبتدأ رافعا للخبر والخبر رافعا للمبتدأ عند الكوفيين .

وما أشد حاجة التلميذ والطالب فى هذا العصر الذى كثر العلم فيه وتعقدت الوان المعرفة الى ان نريحه من العناء الذى لايغنى ونقدم إليه من العلم مايستطيع ان يسيغه ونحن ان لم نفعل ذلك بغضنا إليه العلم تبغيضا وصرفناه عنه صرفا واظن اننا قد نجحنا الى الآن فى تبغيض اللغة العربية وعلومها الى التلاميذ والطلاب وما ارى ان الفتى المصرى يبغض من العلوم التى يحصلها فى المدرسة شيئا كما يبغض النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع ذلك لان هذه العلوم لاتتصل بنفسه ولاتتحدث الى عقله ولاتلائم طبعه ومزاجه وانما هى الغاز لاتفهم او سخف لايستطيع ان يبذل اليها نظرة الجد .

وكيف نريد التلميذ على ان يفهم اننا اذا قلنا محمدٌ أقبل فلابد من ان نقدر فاعلا مستترا للفعل ومن ان يكون هذا الفاعل المستتر ضميرا يرجع على محمد . وكيف نريد الطالب على ان يفهم ان هذا الضمير المستتر قد يستتر جوازا مرة ويستتر وجوبا مرة اخرى وهو فى كل حال مبنى ومحله دائما محل الرفع كل هذا كلام لايسيغه العقل الحديث ولا سيما فى طور الطفولة والشباب فاذا فرضناه على الصبى او الفتى فإنما نفرضه على الذاكرة ونكلف التلميذ ان يحفظ مالايفهم وان

يعيده فى الامتحان كما تعيد البغاء ماتحفظ من الصيغ والالفاظ وهذه الامثلة التى ذكرت اهون ما يلقى التلميذ حين يأخذ فى درس النحو ولا اريد ان اعرض للحركات التى تقدر ويمنع من ظهورها التعذر او يمنع من ظهورها الثقل او تمنع من ظهورها كسرة المناسبة ولا اريد ان اعرض للاشتغال ولا اريد ان اعرض للحروف التى تنوب عن الحركات ولا الحركات التى ينوب بعضها عن بعض كالفتحة التى تنوب عن الكسرة والكسرة التى تنوب عن الفتحة ولا اريد ان اعرض لنظرية العامل التى تكلف التلميذ والطالب عناء ثقيلا دون ان يفهمها او يسيغها وما اكثر ما يسأل التلميذ نفسه عن هذه الادوات التى تنصب الاسم وترفع الخبر كيف تعمل النصب والرفع مع انها فى حقيقة الامر لاتعمل شيئا ، فلو ارحنا الطالب من هذا كله ويسرنا له امور النحو تيسيرا وحببنا اليه دروس اللغة العربية واتحنا له فهمها ودوقها والانتفاع بها فى الكلام والفهم نعرض اللغة لخطر قليل او كثير ، كلا انما نحط عن التلميذ عبئا ثقيلا ليس هو فى حاجة الى احتماله وانا واثق كل الثقة بان اراحة التلميذ من هذا العناء الثقيل السخيف ستغير نظرته الى دروس اللغة العربية واقباله عليها وستظهر نتيجة ذلك فى اسرع الوقت واقصره فيفهم



اما اصلاح الكتابة فليست الحاجة



إليه اقل من الحاجة إلى اصلاح النحو ولعلها ان تكون اشد منها واكثر شيوعا فليس كل الناس مضطرا إلى ان يتعلم النحو ولكن كل الناس مضطر إلى ان يقرا ويكتب وهو فى حاجة إلى ان يعصم من الخطا إذا قرا وكتب وقد صور حاجة الناس إلى هذا الاصلاح تصويرا صادقا كل الصدق فى حديثكم الذى اذعتموه منذ حين واكبر الظن ان مصدر

الشر فى هذه المسالة هو بعيه مصدر الشر فى المسالة السابقة فقد استقر فى نفوس الناس ان الكتابة كما هى مقدسة لا ينبغى ان تمس ولا ان ينالها التغيير كما ان النحو مقدس لاينبغى ان يمس ولا ان يناله التغيير وقد نسى الناس ان الكتابة غيرت وتطورت ونالها العلماء بالاصلاح فلم يصب اللغة من ذلك شر ولم يلم بها سكروه وقد ارادت الظروف ان تكون الكتابة العربية كغيرها من الكتابات السامية ناقصة نقصا شنيعا يصور نصفها وبهمل نصفها الآخر تصور حروفها الجامدة وتهمل حروفها اللينة ونتج عن هذا ان اصبحت الكتابة لاتكاد تغنى وهى على كل حال شديدة العسر ولايحسن قراءتها الا الذين يفهمون قبل ان يقراوا وقد يمكن ان يقبل هذا حين تكون الكتابة مقصورة على طبقة ضيقة من الناس تحتكرها وتنفرد بها كما كان الكهان يحتكرون العلم و يستاثرون به فى بعض العصور فاما اذا فرض الدستور ان يقرا الناس جميعا وان يكتبوا فاما اذا الغت الديمقراطية هذا النوع من الاحتكار فلاينبغى ان تطالب عامة الناس بان يفهموا قبل ان يقراوا وبان يكون لهم ذكاء العلماء والمتفوقين

وانما ينبغى ان نجعل القراءة اداة تمكننا من الفهم لاغاية يمكننا الفهم منها وليس الى ذلك من سبيل الا أن تكون الكتابة كاملة كالنطق فتصور فيها الحروف الجامدة والحروف اللينة كما ان النطق كامل يصور فيه هذان النوعان من الحروف . فنحن اذا نطقنا بلفظ كتب لانتطق بالكاف والتاء والباء وحدها وانما ننطق معها بهذه الفتحات الثلاث التى هى النصف اللين لهذه الكلمة فما بالنا نصورها فى النطق فى الكتابة . وكيف السبيل للمارىء السادج اذا راى هذه الاحرف الثلاثة الجامدة ان ينطقها على الصورة التى ارادها لها الكاتب إلا إذا فهم قبل ان يقرا وكيف يتاح ذلك لغير العلماء والاذكياء من الناس . وإذا كان الائمة من علماء المسلمين قد تعلموا لخطر هذه المسالة بالقياس الى القران الكريم نفسه فحاولوا تصور هذه الحروف اللينة فى المصحف الشريف بالنقط مرة وبالشكل المعروف مرة اخرى فما الذى يمنعنا نحن من ان نمضى فى هذه الطريق التى مهدها لنا المتقدمون افلا يسعنا ان نصنع ماصنع ائمة القرن الاول والثانى وكيف ينكر علينا مالم ينكر عليهم وكيف نلام على مالم يلاموا عليه وايهما خير ان نسلك هذه الطريق التى سلكوها فنتم مابدأوا ونحقق ما ارادوا ام ان نبقى حيث نحن فنحول بين اللغة العربية وبين الحياة والخصب والنماء لو نضطر الى ان نصطنع الكتابة اللاتينية كما اصطنعها الترك اما انا فما اشك فى ان الاقدام على هذا الاصلاح فرض لاسبيل إلى اهماله إلا إذا ابحنا لانفسنا إهمال اللغة نفسها وتركها عرضة لتقلب الظروف ولكن تحقيق هذا الاصلاح ليس من الاشياء اليسيرة فهو قد يحتاج إلى جماعة من الفنيين الذين يتقنون العلم بانواع الكتابة والخط ويحسنون التصرف فيها ليدرسوا هذه المسالة درسا عميقا ثم يعرضوا مايتاح لهم من الحلول العملية التى تجمع بين الدقة واليسر والبساطة . وربما كانت المسابقة العامة من الوسائل المنتجة فى هذا الامر بعد ان يستقر راى العلماء ويتم اتفاقهم على ضرورة الاخذ بهذا الاصلاح .

وخلاصة القول انى اقترح اولا ان تؤلف لجنة صغيرة تتلطف تبسيط النحو ورفع ماتنتهى إليه من هذا التبسيط إلى معالبكم لترووا رايكم ولتعرضوه ان شئتم على هيئة اوسع واشد تنوعا من هذه اللجنة وثانيا ان تستشيروا فى مسالة اصلاح الكتابة طبقات مختلفة من المشتغلين باللغة العربية وعلومها فيستشار الازهر وتستشار دار العلوم وتستشار الجامعة ويستشار المجمع اللغوى فإذا اتيلت هذه الهيئات كلها على الاصل الاساس وهو من تصوير الحروف اللينة او الحركات على انها جزء من الكلمات ضرورة لابد منها وخير لا شر فيه عرض موضوع هذا الاصلاح لمسابقة عامة لافى مصر وحدها ولا فى الشرق العربى وحده بل فى الشرق والغرب جميعا .

وانا ارجو ان تتفضلوا فتقبلوا مع اجمل الشكر واحسن التقدير اخلص التحية واعظم الاجلال .